وقفة وفاء أمام الرفيق غسان

يصدر العدد الرابع من « المناضل الثوري » ، النشرة الداخلية للتنظيم الخارجي ، لاول مرة دون ان يكون بين صفحاته موضوع للرفيق الشهيد غسان كنفاني . وقد تضمن للعدد افتتاحية خاصة حول الرفيق الشهيد غسان ننشرها فيما يلي

في الثامن من تموز ١٩٧٢ استطاع العدو الامبريالي الصهيوني الرجعي ، ان يوجه الى جبهتنا الشعبية واحدة من اقسى الضربات واكثرها ايلاما ، حين استطاع اغتيال واحد من ابرز اعضائها ، واعظمهم التزاما ، واكثرهم عطاءا وابداعا ثوريين ، هو الرفيق الشهيد غسان كنفاني عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية ورئيس تحرير صحيفتها المركزية والناطق الرسمي باسمها مسؤول لجنة الاعلام المركزية وعضو لجنة التثقيف المركزي .

ان « المناضل الثوري » التي ساهم الرفيق الشهيد في تحرير بعض مقالاتها ، واعطاها من ارشاداته وتوجيهاته الخبيرة والمجربة لكي تكون في المستوى اللائق ... ان « المناضل الثوري » اذ تعي وعيا تاما وحزينا الحجم الضخم لخسارتنا في الرفيق غسان ، والفراغ المؤرق الذي خلفه وراءه ، تعي في نفس الوقت ، وبنفس القدر من الوضوح ، اننا يجب ان نواصل الطريق الى اخر مداه دون اخطاء توقف زيادة عما يلزم لاعطاء تحية وداع دامعة لرفيق عايشناه سنوات طويلة ، وكانت صداقته ورفاقته وابتسامته وسخريته وتوجيهاته البعيدة عن اي استذة ، هي خبزنا اليومي .

ان طريق الثوره ، طريق غسان كنفاني وكل من سبقوه ومن سيلحقون به في قافلة شهداء شعبنا ، طريق صعب ودموي ، خصوصا حين تكون قضية الثورة في مثل تعقد قضيتنا واتساع معسكر اعدائها ، ونحن حين اخترنا هذا الطريق كنا ولا نزال نعرف بالضبط حجم تلك المصاعب والمشاق وحجم التضحيات التي يجب ان نقدمها من اجـل انتصار الثورة ، وكنا ولا نزال نعرف انه من الطبيعي ان نفقد على هذا الطريق رفاقا يترك كل منهم حين يسقط جرحا يظل ينزف في قلوب رفاقه .

انما المهم ، حين يسقط اي شهيد ان يتحول دمه الى وقود يضاف الى نار الثورة ليزيدها اشتعالا وتاججا ، انما المهم ، كما يقول شهيدنا البطل غسان ، حين يسقط اي رفيق ان « يسقط فوق اكتافنا ليغرسنا في ارض الثورة اعمق » .

المهم ان نستخلص من حياة ذلك الرفيق النضالية ومن روعة استشهاده الدروس التي تعمق التزامنا بقضية شعبنا وثورته وتجعل ممارساتنا اكثر عنفا واكثر صحة .

ان من اتيحت له فرصة معايشة الرفيق غسان او كانت له صلة عمل به يستطيع ادراك كم كان مدرسة غنية متنوعة المعارف والتجارب ، ويدرك كيف كان الرفيق غسان يشع تلك المعارف والتجارب على كل من حوله بسخاء وتواضع ثوريين .

ان عنصر الابداع المحوري في شخصية الرفيق غسان ، والذي منه تفرعت جميع مواهبه وكفاءاته ، كان ذلك الالتزام غير المحدود بقضية الجماهير الشعبية الفلسطينيةوالعربية وحقوقها ، ذلك الالتزام الذي شكل محور حياته ، والذي وصل الى حد اذابة كل الفوارق بين الحياة الشخصية والاهتمامات الشخصية وبين تلك القضية ومتطلبات الالتزام بها . وقد كان الرفيق الشهيد ابرز من استطاع ان ينقل القضية الفلسطينية الى افاق بعيدة المدى باسلوب علمي قائم على الحقائق وعلى معرفة ودراية باسلوب التعامل مع الراي العام ، التقدمي الثوري منه بالتحديد ، مبتعدا كل البعد عن تشنج الكلمات وعن استدرار العطف والدمع . لقد استطاع غسان ان يطرح القضية الفلسطينية على انها قضية شعب له حق الثورة من اجل تقرير مصيره على ارضه،بعد ان ابقتها اجهزة الاعلام العربية الرسمية قضية عطف وشفقه ولاجئين وخيام .

ولم يترك غسان ذلك الالتزام معلقا في الهواء كما فعل الكثيرون ممن ارتزقوا على حساب قضيه شعب فلسطين ، ليستمد من ذلك امنا ورخاء ورفاهية،بل ربط ذلك الالتزام بقضايا الجماهير وشقائها وقلق الخلق الذي ينمو في احشائها ، حين اعطى التزامه بعده الفاعل والمؤثر بنضاله ضمن الحركة الوطنية الفلسطينية : مناضلا في صفوف حركة القوميين العرب ثم مناضلا صلبا وخلاقا في صفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في كل موقع ناضل فيه .

لقد كان التزام رفيقنا الشهيد يشع في جميع اعماله : فهو حين كتب قصصا كتبها عن فلسطين الثورة كما فهم فلسطين وفهم الثورة ، ملتصقة بالجماهير القادرة على العطاء.وهو حين قرض بعض الشعر كان عن فلسطين الثورة.وهو حين رسم عشرات اللوحات رسم فلسطين والثورة.وهو حين حرر صحفا ، جعل منها منابر لفلسطين والثورة ، الالتزام بقضية الجماهير الفلسطينية كان محور العطاء الغزير والمتنوع في شخصيه الرفيق الشهيد غسان.هذا هو درسنا الاول من سيرة حياة رفيقنا العظيم نتمثله ونستوعبه من اجل بلورة التزام اعمق واكثر وضوحا وعطـاءا .

اما درسنا الثاني : فهو ذلك الايمان العميق بالجماهير الفلسطينية والعربية والثقة بقدراتها الغير محدودة التي ما تزال دفينة قشور السلبية التي تغطيها . كان مقتنعا ان تلك القشور قد اوجدتها عشرات السنين من الاستعمار والاستعباد ، وعشرات اخرى من القهر والذل على يد الطبقات الرجعية الحاكمة ، وخيبات امل متكررة في قيادات اعطتها الجماهير بلا حدود فخذلتها على اعتاب مصالحها المادية وطموحاتها الشخصية ، وكان لذلك شديد الثقة بان هذه الجماهير قادرة على العطاء والابداع اضعاف اضعاف ما تعطي حاليا — وهو ليس بالقليل — اذا توفرت لها القيادة الصحيحة المتفهمة لمشاكلها وطموحاتها والقادرة على تعبئتها وتنظيمها والمستعدة للسير معها حتى اخر الشوط مهما غلت التضحيات .

لقد كان غسان شديد التواضع تجاه الجماهير وكان يطلب من كل رفيق ان يكون كذلك ، ليس تظاهرا او تصنعا مزيفا بل اقتناعا وايمانا بهذه الجماهير واهليتها ان تكون المعلم الاكبر .

وقد عكس ذلك نفسه على الدرس الثالث الذي يمكن استخلاصه من سيرة حياة رفيقنا العظيم النضالية ، وهو ايمانه المطلق بالثورة وحتمية انتصارها ، حتى في احلك ساعات تقهقرها وانحسارها.كان ذلك ينبع من فهم واستيعاب لحركة التاريخ ودروس وتجارب تلك الحركة ، ومن ايمان بالجماهير الفلسطينية والعربية وقدرتها على العطاء . كـان احد القلائل الذين يضعون اصابعهم بالضبط على مكمن الخطر الحقيقي (ليس القشري) في مسيرة حركة المقاومة الفلسطينية ويعرف بالضبط اخطاء حركة المقاومة وسلبياتها وحتى انحرافاتها ، وكان يعرف اسباب ذلك ايضا.لكنه لم يسمح لكل ذلك ان يغرقه في الياس ويحمله على الكفر بحركة المقاومة ونفض اليد منهـا كما فعـل الكثيرون من قصيري النفس ممن تعربشوا على حركـة المقاومة حـين كانت مظاهر وامتيازات مادية ومعنوية . لانه كان يفهم الثورة وديالكتيكها كان شديد الايمان بها وبحتمية انتصارها . ولانه كان كذلك ، فقد امتلك وضوحا في الرؤية ، رؤية الاهداف الاستراتيجية ، حماه من الغرق في التفصيلات اليومية الصغيرة واعطاه القدرة على تسخيرها لصالح الاهداف الاستراتيجية . لقد كان الرفاق حين تشتد ازمة ويغرق الكل في دوامة التفاصيل الصغيرة ، يعرفون تماما ان غسان يبقى حافظا لراسه فوق موج تلك الازمة ويبقى الممسك للخيط الاساسي في يده رائيا لامتداده . ومن خلال هذا الفهم رفع شعار « المقاومة مستمرة » .

ولانه كان شديد الثقة بجماهيره وشديد الثقة بثورته ، فقد اكتسب ثقة في النفس لا حدود لها خصوصا حين يتعامل مع رجال الاعلام العالمي ، الاصدقاء منهم وغير الاصدقاء . جعلت منه الوجه الاعلامي الفلسطيني والعربي الاكثر شهرة والاكثر تاثيرا على الراي العام .

اما الدرس الرابع الممكن استخلاصه من سيرة الحياة النضالية لرفيقنا العظيم فهو ذلك الايمان الراسخ بالتنظيم الحزبي الثوري وضرورة تواجده على راس الحركة الوطنية من اجل قيادتها .

وبالنسبة لقضية الجماهير الفلسطينية فقد آمن ان حاجاتها لحزب ثوري يقود نضالها اكثر الحاحا وان ذلك هو الذي يشكل الخطوط الاساسية لخروج حركة الجماهير من مازقها الحالي ومازقها الاستراتيجي .

لقد آمن بالتحديد بحزب الطبقة العاملة المسترشد بالنظرية الماركسية اللينينية والقادر على قيادة جبهة وطنية عريضة تضم في صفوفها جميع القوى المناهضة للامبريالية والصهيونية والرجعية . ولقد كان ذلك نتاجا طبيعيا لتمثل واستيعاب دروس تجارب الشعب الفلسطيني والتجارب الثورية لشعوب العالم .

ولقد اعطى كل جهده لقضية بناء هذا الحزب .

لقد فهم رفيقنا العظيم تلك العلاقة الجدلية في العطاء المتبادل بين الحزب والعضو،وبقدر ما اخذ من الحزب اعطاه عطاءا غنيا : اعطاه سلوكية حزبية باعلى درجات انضباطها وابداعها واعطاه ابداعا فكريا حين ساهم في مناقشة وكتابة العديد من ادبياته ، واعطاه اغناء عمليا من خلال العديد من الاقتراحات والمشروعات التي قدمها او نفذها،واعطاه بعدا امميا حين استطاع اقامة العديد من التحالفات الاممية مع عدد من القوى الثورية في العالم . ولان رفيقنا العظيم آمن بثورية الفكر السياسي للجبهة الشعبية وتوافقه مع طموحات شعبنا ، ولانه وعى ان وجود التنظيم انما هو من اجل خدمة وتحقيق هدف سياسي وان طريقة تشكل هذا التنظيم وعلاقاته وسلوكيته مرتبطة بنوع الهدف السياسي المراد من اجل تحقيقه ، لانه آمن بذلك ووعاه ، فقد اعطى في حياته الحزبية المثل الاعلى في التقيد بالمبادىء الحزبية والتمسك بها وتطبيقها على نفسه وعلى مجالات العمل النضالية التي عمل بها بكل صراحة وجراة ورصانة . لقد آمن الرفيق بالمركزية الديمقراطية والتزم بها ، وآمن بالنقد والنقد الذاتي وطبقه بروح ثورية رصينة خلاقة ، وآمن بالانضباط الحزبي في جميع المجالات ونفذ ذلك ، آمن بضرورة سرية العمل خصوصا في مثل ظروفنا المعقدة وسعى جهده من اجل بلورتها الى ممارسات يومية ، آمن بجماهيرية التنظيم وضرب المثل بها، آمن بضرورة امتلاك الحزب برامج واضحة استراتيجية،ومفصلة لكل مجال من مجالات العمل وساهم في اعدادها ، وآمن بضرورة ان يكون الحوار في الحزب حوارا حول قضايا نظرية او تنظيمية او مواقف سياسية ونضالية وضمن الاطر التنظيمية التي توفرها المركزية الديمقراطية لكل عضو وقد تمسك بذلك بشدة لا سيما خلال فترات الانفلاش التنظيمي التي عاشها التنظيم في بعض الفترات،وحتى وهو يتعرض لاشد حملات التشكيك والاتهام يروجها عناصر اليسار المراهق والانتهازي قبل تساقطهم من صفوف الجبهة .

لقد آمن الشهيد غسان بالحزب ، حزب الطبقة العاملة المسترشد بنظريتها الثورية بكل مواصفات ذلك الحزب ، واعطاه جهده وعرقه .

هل هذه كل الدروس الممكن استخلاصها من السيرة النضالية لرفيق من اعظم واعز رفاقنا؟ بكل تاكيد لا . فهناك الكثير من الدروس الاخرى والمهمة. وحين تقوم الجبهة بدراسة مفصلة لسيرة حياة رفيقنا العظيم — وهذا ما سيحصل — حينئذ فقط يمكن اكتشاف الثراء المتنوع واللا محدود لتلك الحياة ، وحينئذ يمكن اكتشاف العدد اللا محدود من الدروس التي تعطيها تلك الحياة التي لم يقدر لها ان تعيش اكثر من ست وثلاثين سنة .

وعلى ضوء حجم خسارتنا بالرفيق غسان ، يصبح من واجب كل عضو منا ان يرتفع الى مستوى المسؤوليه التي تفرضها علينا تلك الخسارة .

ان جهدا كبيرا يجب ان يبذل من قبل كل منظمة حزبية ومن قبل كل رفيق،من اجل تصليب اوضاعنا الحزبية وتعميق هوية حزبنا اليسارية بدفع عملية التحول خطوات واسعة نحو صيرورة جبهتنا الحزب الماركسي اللينيني المؤهل لقيادة جماهير شعبنا الفلسطيني في ثورتها ضد معسكر اعدائنا الضخم والمتشعب . فذلك هو الطريق الصحيح لتعويض اي رفيق يستشهد .

ان جهدا اضافيا يجب ان يعطى من اجل تعميق ممارساتنا النضالية ومن اجل ان تلعب فيها منظمات الخارج دورا اكثر اساسية واكثر مباشرة .

ان الرفاق اعضاء التنظيم الخارجي بالدرجة الاولى مطالبون بتحمل مسؤولية ملء الفراغ الذي اوجده استشهاد الرفيق غسان في مجال الاعلام الخارجي ، من اجل الاستمرار في نشر فكر ومواقف الجبهة الشعبية على اوسع نطاق ومن اجل الاستمرار في كسب المزيد من الانصار والمؤيدين .

كما انهم مطالبون باعطاء اهتمام اكبر لهدف نسج المزيد من التحالفات الامميه بين الجبهة والقوى التقدمية والثورية في العالم .

ونحن نتوقع ان يكون الرفاق في منظمات الخارج على مستوى هذه المسؤوليات الجديدة .

كما ان الرفاق في الخارج يجب ان يلعبوا دورا كبيرا في عملية تخليد الرفيق غسان وفي عملية تثبيته كرمز لشعبنا من خلال الندوات وحملات الاعلام المبرمجة ، والمركزة لشرح ونشر مختلف جوانب حياته النضالية .

ايها الرفاق : حين نعمل على امتلاك الفكر العلمي ليصبح جزءا من خلايانا وحين نسخر ذلك الفكر من اجل ممارسات انضج وافعل واصح،

حين يصبح التنظيم هو نبراسنا ، وحين يصبح همنا اليومي ان نطور هذا التنظيم ونصلبه من اجل ان يقود حركة جماهيرنا ،

حين نجعل المحافظة على وحدة التنظيم كما المحافظة على حدقات العيون،

حين نعي تماما العمق العربي الاممي لحركة جماهيرنا الفلسطينية ،

حين نذوب وسط الجماهير نتعلم منها ونخدمها بتواضع شديد ، وحين نعمل على ازالة الصدا القشري عن سطح قدراتها الجبارة ،

حين تصبح الثقة بثورة شعبنا والثقة بانتصارها جزءا من ذاتية كل منا،

عند ذلك فقط نكون قد بدات خطوتنا الصحيحة نحو تكريم وتخليد واحد من ابر ابناء جبهتنا الشعبية ، نحو تخليد واحد من اعظم وابدع ما انجب شعبنا الفلسطيني .

نكون قد بدئنا محاولة تعويض رفيق من اصعب الامور تعويضه .

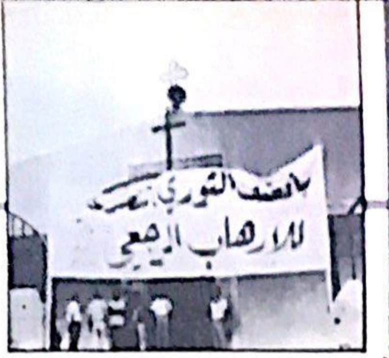

مدخل كنيسة [illegible] الشهيد غسان .

راعي الكنيسة يحيي الرفيق غسان بمواصلة الكفاح

اقامت حركة المقاومة الفلسطينية والاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية اللبنانية في منطقة بعلبك والبقاع احتفالا تابينيا في ذكرى اربعين الشهيد غسان كنفاني وذلك يوم الاحد ١٢ اب الجاري

وبدا الاحتفال بالوقوف دقيقة حداد على روح الشهيد وقدم عريف الحفل بكلمة عن المعنى الكبير الذي جسده استشهاد غسان في نفوس جماهيرنا وشعبنا .

حركة المقاومة الفلسطينية والأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية اللبنانية

في بعلبك والبقاع ومعسكر ضبية يؤبنون الشهيد غسان كنفاني

كلمة الاحزاب والقوى التقدمية :

وقد القى كلمة الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية الرفيق دريد ياغي . فاشاد بتاريخ غسان المناضل وتطرق الى الاوضاع العربيه . وقال ان المنطقه تشهد ردة رجعية تقودها القوى الرجعيه العربيه مدعومة من الامبرياليه . مستفيده من التراجعات التي تقدمها الانظمه العربيه. على طريق الاستسلام. وطالب بان تكون المواجهه للقوى الامبرياليه لتاكيد الاخلاص القومي للامه العربيه عن طريق ضرب المصالح الامبرياليه، في المنطقه العربية. وتعبئه القوى الذاتية ماديا وبشريا على غرار فيتنام واستخدام العنف الثوري . وبتوطيد الصداقه مع المنظومه الاشتراكيه التي تقدم لنا الدعم في مختلف الميادين ومساندة الثوار الارتيريين والظفاريين لا بمحاربتهم ومد المرتزقة بالسلاح . وبدعم الثورة في جمهورية اليمن الديمقراطيه وبدعم المقاومه وعدم السكوت عن ضربها والسماح للثوار بالدخول الى مواقع العدو لضربها داخل الارض العربيه المحتله . وطالب الدولة ان تكشف الجواسيس والعملاء الذين نفذوا الجريمه الغادرة في حق الشهيد غسان كنفاني .

كلمة الجبهة الشعبية :

ثم القى الرفيق صلاح صلاح كلمة الجبهة الشعبية فعرض فيها الى ان المعنى الحقيقي لاستشهاد الرفيق غسان لا يجب ان يعطى لسقوط ثائر في ميدان الثورة وانما المعنى الحقيقي لا بد ان يبقى لقضية هذا الثائر التي استشهد من اجلها . واضاف ان استمرار النضال والايمان بالقضية كفيل بان يعوضنا عن استشهاد غسان والوفاء له .

والمعنى الجديد الذي تركه غسان من بعده هو ان القتال ليس هو الميدان الوحيد انما هناك ميدانا اخر يوازيه هو ميدان « الفكر والقلم » الميدان الذي يوجه البندقية ويحدد لها هدفها ومسارها .

وتحدث عن حركة المقاومة الفلسطينية . في وضعها الراهن . وقال ان العدو قد اتبع اسلوبين للقضاء على الثورة .

الاول : شل الفاعلية العسكرية للمقاومة عن طريق اجراءاته العسكرية وعن طريق انعكاسات ضرباته الانتقامية لدى الانظمه العربية التي حدت من نشاط المقاومة. خضوعا لارادة العدو .

ثانيا : عن طريق ضرب الثورة اعلاميا وسياسيا وذلك بضرب الاقلام والاصوات الثورية والمؤثرة التي كان غسان في مقدمتها .

وحذر الرفيق صلاح في نهاية كلمته من خطورة الهجمه الامبرياليه الرجعيه على المنطقة العربيه . وطالب بايجاد الجبهة الوطنية التقدمية العربية لانها مستهدفة في هذه المرحلة مع حركة المقاومه . ثم زج كل الامكانيات العربية المادية والبشرية في المعركة ضد قوى التآمر .

كلمة المقاومة :

والقى كلمة المقاومة الاخ ابو جاسر .

فحيا فيها روح الشهيد وعدد نضالاته الكبيرة وما قدمه لحركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية .

وقال ان العملاء سيستمرون في مؤامراتهم لضرب الثورة الفلسطينية ويتبعون في هذا مختلف الطرق والوسائل . وما حملة الطرود والارهاب الاخيرة الا جزء بسيط من المؤامرات التي تدبر في بعض العواصم العربية بالتعاون مع الاستخبارات الاسرائيلية والامبريالية .

وطالب الثورة الفلسطينية بان تعمق وحدتها كي تكون قادرة على صد الهجمات ووأد المؤامرات . في معاقلها .

كلمة المراة العربية :

وتلاه بعد ذلك الرفيقة نوال حيدر فالقت كلمة المراة العربية وقالت ان حركة المقاومة ستبقى بوضع صعب اذا بقيت تواجه وحدها معسكر الصهيونية والامبريالية والرجعية وان مطالبة الشعب الفلسطيني وحده بتحقيق النصر ليس عملية عادلة بل ان التجاوز الحقيقي والتاريخي لمازق المقاومة رهن بنمو حركة التحرر العربي لتصبح المقاومة جزء من حركة الجماهير العربية الواسعة والعريضة والمنظمة في اداة ثورية قادرة على استعمالها بشكل منظم في « حزب ثوري » .

كلمة الاتحادات النقابية الفلسطينية :

والقى كلمة الاتحادات النقابية الفلسطينية الاخ محمد بدران قال ان غسان كنفاني الذي حمل لواء الكلمة الصادقة الشريفة لن تنساه الاجيال وفي مقدمها الطبقة العاملة الفلسطينية وسيبقى حيا في ضمير الانسانية ومثالا للتضحية لمواقفه الخالدة من القضية التي امنا بها قضية الطبقة العاملة الفلسطينية والعربية والعالمية ..

وطالب في ذكرى اربعين غسان ان تتحول كل الارض العربية الى ميدان نضال وقتال ضد اعداء شعبنا ومسيرة ثورتنا .

كلمة ((الهدف)) :

وكان ختام الحفل كلمة من اسرة « الهدف » القاها الرفيق ايهاب رائد .

حيا فيها روح الشهيد وعاهده على ان تبقى الهدف بعد غياب غسان كما كانت في عهده ملتزمة بقضايا ومصالح الجماهير ترتفع بقدراتها وتسجل خطوط مسارها الثوري كاشفة كل اعداء مسيرتها مفتوحة الصفحات والصدر لكل الاقدام الثائرة ولكل ثوار العالم وقال ان استشهاد غسان يحتم ويفرض علينا ان نكمل المسيرة ونواصل حمل الراية والبندقية والقلم ..

احتفال في كنيسة معسكر ضبية :

هذا وقد اقيم في كنيسة مخيم « ضبية » احتفال جماهيري شاركت فيه فصائل حركة المقاومة الفلسطينية وقد اقيم في كنيسة المعسكر قداس على روح الشهيد اقامه راعي الكنيسة في المعسكر والقى كلمة اهاب فيها بالنضال الذي جسده غسان في استشهاده من التصدي للعنصرية والقتل التي يمارسها الصهاينة داخل ارضنا المحتلة وخارجها ضد ابناء الشعب الفلسطيني ..

هذا وقد القى مندوبو المنظمات الفلسطينية الجبهة الشعبية ، الصاعقة ، فتح ، نادي فلسطين الرياضي كلمات في هذه المناسبة اكدوا فيها بدورهم على ما قدمه الشهيد للثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربي والعالمي . وطالب الجميع حركة المقاومة الفلسطينية باستمرار الثورة والنضال من اجل تحقيق الاهداف التي استشهد غسان من اجلها وطالبوا بالوحدة الوطنية من اجل التصدي للقوى الرجعية والامبريالية والصهيونية حتى العودة والتحرير .

بقلم : محمد يزيد سفير الجزائر في بيروت

في شعب غسان مئات من أمثاله

وهذا ما يخفف من فداحة الخسارة

عندما نكتب عن الشهيد غسان كنفاني في الذكرى الاربعين لاستشهاده ، لا نريد ان نبكيه بكتابتنا ونمضي وقتنا في البكاء عليه ، لا نغسان لا يريدنا كذلك .. ونحن لا نريد ان نبرز اعماله الثورية وصفاته الانسانية ، فهذه الاعمال تكلمت وتتكلم عن نفسها ..

اننا نريد ان نحيي ونتذكر في ذكراه كل قوافل شهداء الثورة الفلسطينيه . ان قوات الشر ستنفذها مخططها الاجرامي الرهيب والذى استهدف حمله الاقلام الحره وانصار الفكر الثوري كانت تعتقد (خطا) انها ستطيع اسكات الاصوات وتوقيف الاقلام الحره المناضله . صحيح ان الكلمة الثوريه الصادقه عندما تخرج من فم رجل ثوري تجد اصداءها عند الجماهير الواسعه . وصحيح ايضا ان التحليل الذي تصدر عن انسان ثوري (مثل غسان) تجد تجاوبا واسعا من ابناء شعبه ومن كل الذين يؤمنون بعداله قضيته وبالتالي تفشل كافة مخططات العدو . ولكن كانوا مخطئين بظنهم ان الثورة الفلسطينية سوف تعجز عن مواصلة مسيرتها اذا هم قتلوا غسان او بعض حملة الاقلام الحرة من ابناء شعبنا .

ان العمليات الاجرامية التي تعرض لها بعض المثقفين الثوريين الفلسطينيين تذكرنا بالعمليات الجنونية التي قامت بها عصابات منظمة الجيش السري الارهابية سنة ١٩٦١ و ١٩٦٢ . كما ان عملية اغتيال الشهيد غسان كنفاني تذكرنا بعملية اغتيال الكتاب الجزائريين الذين سقطوا شهداء وهم يؤدون واجبهم الوطني . وتذكرنا ايضا بالعملية الجنونية التي قامت بها تلك العصابات عندما اقدمت على احراق مكتبة جامعة الجزائر. ان الاستعمار وقوى العدوان كانت ولا تزال دائما ضد الثقافة وخاصة اذا كانت هذه الثقافة ذات طابع ثوري . لقد احس الكتاب الجزائريون ماساة شعبهم فراحوا يناضلون لوضع حد لهذه الماساة من خلال كتاباتهم الى ان سقطوا في ميدان الشرف وهم يؤدون واجبهم الوطني المقدس .

كذلك غسان كنفاني ، من وسط الماساة خرج وفي داخل هذه الماساة ناضل . الى ان حمل شعبه السلاح ليستعيد حقه المغتصب .

لقد ناضل بالبندقية والقلم . ناضل بالرصاصة وبالكلمة ولم يتوقف اطلاقا الى ان سقط شهيدا والرشاش الى جانبه .

لقد اخطا العدو اذا هو اعتقد انه بقتله غسان كنفاني سيخمد نار الثورة الفلسطينية واخطاوا تماما كما اخطا غلاة الجيش الاستعماري الفرنسي السري ، لان مسيرة الثوار لا يؤثر فيها استشهاد فرد او عدة افراد ..

لقد كان غسان نموذج الانسان الثوري الذي يربط القول بالعمل ، والكلمة بالتطبيق . لقد كان مثالا حيا لما يمكن ان يكون عليه كل مثقف ثوري . لهذا فانه لم يكن خسارة لعائلته ولا لتنظيمه ، ولا هو كان خسارة لشعبه وحسب ، بل ان غسانا كان خسارة لكل المناضلين اينما كانوا ، خسارة لكل الشعوب المكافحة والتي تتطلع الى بزوغ الفجر الجديد ، فجر الحرية . لان غسانا كان يعتبر نضال شعبه امتدادا لكافة نضالات الشعوب المضطهدة .

ولكن الذي يخفف من فداحة الخسارة ان في شعب غسان مئات من امثاله ■

بيروت في ١٩٧٢/٨/١٤

محمد يزيد